

مدرسة "كارافادجيو" وإحياء سمات القرن السابع عشر في جداريات "أوترخت" The Caravaggist and the Revival of Seventeenth Century Features in "Utrecht" Murals

أ.م. د/ محمد عبد السلام عبد الصادق

أستاذ مساعد قسم التصوير- كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية

Assist. Prof. Dr. Mohamed Abd El-Salam Abd El-Sadik

Assistant Professor, Department of Photography, Faculty of Fine Arts, Alexandria
University

mohamedabdslam@gmail.com

ملخص البحث:

يعد الفنان "ميكيلأنجلو ميريزي" و الملقب بـ"كارافادجيو" (١٥٧١- ١٦١٠) حالة متفردة في فن التصوير الإيطالي خلال القرن السابع عشر ، في وقت كانت "إيطاليا" تعد هي مصدر الثقافة والوعي الديني و العلمي على حد سواء في أوروبا ، وقد امتد تأثير "كارافادجيو" وأسلوبه عبر أجيال من المصورين الذين رأوا في شخصه وأسلوبه نموذجا ليصبح معبرا عن الهوية الإيطالية ، بل والأوروبية خلال العصر الحديث ، حتى أن أعماله أصبحت ملهما للأعمال الجدارية المعاصرة في الشوارع والميادين ، الدراسة التالية تركز على طرح هذه الرؤية المعاصرة لتراث القرن السابع عشر ، وذلك من خلال مشروع إعادة الهوية القومية لمدينة "أوترخت" الهولندية مجسدا في عدد من التصاوير الجدارية التي تعيد إنتاج أعمال "كارافادجيو" وتلامذته، ومن خلال ذلك يمكن إعادة تشكيل الرؤية الفنية- بشكل مماثل- في التراث الفني المصري ، وتقديمه للمجتمع على النحو الذي يحفظ له هويته ، ويزيد من وعيه حيال تراثه وثقافته.

الكلمات المفتاحية:

كارافادجيو ، القرن السابع عشر ، التصوير الجداري ، مدينة "أوترخت" ، الهوية الثقافية.

Abstract:

"Michelangelo Mirizzi", known as "Caravaggio" (1571-1610), is a unique case in the art of Italian painting during the seventeenth century. The influence and style of "Caravaggio" extended through generations of photographers who saw in his personality and style a model to become an expression of Italian, and even European identity during the modern era. So that, his works became an inspiration for contemporary mural works in the streets and squares. The following study focuses on presenting this contemporary vision of the heritage of the century The seventeenth, through the project of re-establishing the national identity of the Dutch city of "Utrecht", embodied in a number of mural paintings that reproduce the works of "Caravaggio" and his students, and through that, the vision can be reconfigured. similarly, in the Egyptian artistic heritage. So that it can be visually reformulated and presented to society in a way that preserves its identity and increases awareness of its heritage and culture.

Keywords:

Caravaggio, 17th century, Fresco, Utrecht, Cultural Identity.

مقدمة:

كان الفنان "ميكيلأنجلو ميريزى" و الملقب بـ"كارافادجيو" (١٥٧١- ١٦١٠) نموذجاً للمبدع الذى جسد خصائص عصره ، فقد عبر عن قيم الديناميكية والحيوية والإيقاع المتغير فى ظل تنامى العلوم والمكتشفات خلال القرن السابع عشر، معتمداً على أسلوب مبتكر فى توظيف قيم التباين بين النور والظل ، علاوة على استخدامه النماذج الإنسانية المعاشة فى حياته اليومية فى سبيل إكساب اللوحة الدينية مفهوماً مغايراً للشكل المنهجي الذى كانت تفرضه الكنيسة خلال عصره ، جعله هذا محل سخط من قبل رجال الدين ، رغم ما تركه من تراث فنى مميز حول موضوعات و شخصيات الكتاب المقدس.

كانت شخصية "كارافادجيو" دائماً مثيرة للجدل ، فهو صاحب نزعة عدائية ، محبا للحياة الصاخبة ، يرتاد أماكن لعب القمار وقتال الشوارع بشكل دائم ، تملأ سيرته سجلات الشرطة وملفات المحاكم ، كما أنه أدين بجريمة قتل ، كما أن سبب موته لازال يكتنفه الغموض ، لكنه- على الجانب الآخر- أرسى بأسلوبه مدرسة ملهمة للعديد من معاصريه وتلاميذه فى إيطاليا ، وفى باقى أنحاء أوروبا قاطبة لعصور عديدة لاحقة فيما أطلق عليه المؤرخون "Caravaggisti".

لم تقف أعمال "كارافادجيو" عند حدود عصره ، و لم تقف حبيسة جدران المتاحف ، وقاعات العرض ، بل تجاوزت عصره وموطنه لتكون اليوم مصدر إلهام وتزيين للشوارع و الميادين فى بعض المدن الأوروبية ، وعلى رأسها مدينة "أوترخت" الهولندية ، واقع الأمر أن العلاقة بين "أوترخت" و"روما" تمتد بجذورها إلى ما قبل ظهور "كارافادجيو" ، من خلال عدد من العوامل ووسائل الاتصال ، يلقي البحث التالى الضوء على جذور هذه العلاقات ، ويتعرض لتأثير "كارافادجيو" على أجيال الفنانين بدءاً من القرن السابع عشر ووصولاً إلى القرن العشرين من خلال عدد من الأعمال الجدارية التى تعيد إحياء لوحات هذا الفنان ، وكذلك اللوحات التى أبدعها تلاميذه.

مشكلة البحث:

إن الهوة الفاصلة بين الرؤى المعاصرة والتراث الثقافى والفنى تعد من أكبر التحديات التى تواجه المجتمعات والشعوب فى سبيل التمسك بالهوية ، والالتصاق بالجذور ، وانطلاقاً من هذا المبدأ لجأت بعض المدن الأوروبية إلى إعادة تقديم التراث الفنى فى صورة معاصرة ، عبر عدد من الرسوم والأعمال الجدارية فى الشوارع و الميادين ، بحيث ينمو وعى وثقافة عامة المجتمع فى العصر الحديث دون انعزال أو انقطاع عن التراث الفنى وإنتاج الرواد الأوائل.

أهمية البحث:

يعد التصوير الجدارى أداة هامة من أدوات نشر الثقافة والوعى ، وتشكيل الذوق العام للمجتمع ، ويعتبر تحويل الشوارع و الميادين إلى متاحف تذخر بالأعمال الفنية للرواد الأوائل ، وتعريف الجمهور بإنتاجهم وأساليبهم من أهم الخطط المنهجية التى تمضى قدماً فى هذا السبيل ، يأتى إلقاء الضوء على التجارب الغربية المعاصرة فى سبيل استعادة الجذور ، وربطها بإيقاع الحياة اليومية لعامة المجتمع من خلال التصاوير الجدارية، ليفتح الباب لدينا أمام تجارب مماثلة تساهم فى نشر الأعمال الفنية للرواد ، والارتقاء بذوق الجمهور ، وإيجاد مناخ عام ملائم لاستمرار مسيرة الحركة الفنية على المستويين الأكاديمى والمجتمعى.

تساؤلات البحث:

- ١- ما الجذور التاريخية لعلاقة مدينة "أوترخت" الهولندية بالفن الإيطالى ؟
- ٢- كيف انتقل تأثير "كارافادجيو" إلى هولندا ؟ و كيف أثرت سمات مدرسته الفنية على أعمال الأجيال التالية من فناني هولندا؟
- ٣- ما المؤثرات الاجتماعية و الثقافية التى تؤدى بالفنان المعاصر نحو إعادة إنتاج الأعمال الفنية التراثية ؟

- ٤- ما مدى قبول المجتمعات المعاصرة لإعادة إنتاج الأعمال الفنية فى التصاوير الجدارية ؟
٥- كيف يمكن الاستفادة من تجربة "أوترخت" فى تجارب مشابهة تركز على توظيف التصاوير الجدارية المعاصرة؟

أهداف البحث:

- ١- إلقاء الضوء على تاريخ الفن الهولندى وعلاقته بمدرسة "كارافادجيو" الفنية.
- ٢- استعراض التصاوير الجدارية المعاصرة فى مدينة "أوترخت" وتحليلها تاريخيا وتشكيليا.
- ٣- إبراز الدور الذى تلعبه التصاوير الجدارية فى تشكيل الهوية وربط المجتمعات بالجزور الحضارية والثقافية.

منهج البحث:

المنهج التاريخى التحليلى.

حدود البحث:

حدود مكانية : مدينة "أوترخت" الهولندية.

حدود زمانية : القرن السابع عشر الميلادى- القرن العشرين.

"أوترخت" و"روما" قبل "كارافادجيو":

كمعقل للروم الكاثوليك كانت الروابط بين المدن الهولندية و"روما" (البابوية) وثيقة وراسخة ، إذ شهدت "روما" منذ بدايات القرن السادس عشر وفود عدد من الفنانين الهولنديين لدراسة التراث الكلاسيكى ، على سبيل المثال.. بين عامى ١٥٠٨ و ١٥٠٩م زار الفنان "جان جوسيرت" "Jan Gossaert" (١٤٧٨- ١٥٣٢م) روما ضمن البعثة الدبلوماسية التى أرسلها "فيليب" دوق "بورجندى" (أمير هولندا بين عامى ١٤٩٨ و ١٥١٧م ، ثم أسقف "أوترخت" بين عامى ١٥١٧ و ١٥٢٤م) ، وبعد عودته ظهرت بصمة أعمال أساتذة النهضة الإيطالية مثل على أعمال "جوسيرت" (Loredana Del Re, 2013. 56) ، فالأشكال المعمارية والخلفيات ، وحتى الحلول التشكيلية كانت تتشابه إلى حد كبير مع أعمال "رافائيل" و"فيليبو ليبى" وغيرهما. (شكل ١).



(شكل ١) ج. جوسيرت- القديس لوقا يرسم العذراء- ١٥٢٥م

تركت الحضارة الرومانية آثارها جلية على شخصيه "جوسيرت" ، الأساطير بشخصها وأحداثها ، المباني التذكارية ، الفلسفة الإنسانية التى وظفت عرى الجسد لنقل المعانى والرؤى والقيم المتباينة ، علاوة على التعاون المشترك الذى جمع

بينه وبين أحد أهم فناني إيطاليا الذين تنقلوا بين ألمانيا وهولندا آنذاك ، المصور والحفّار "جاكوبو دي بارباري" "Jacopo de Barbari" (١٤٦٠-١٥١٦م) ، ورغم أن أسلوب "جوسيرت" لدمج المثل الكلاسيكية التي درس فيها روما لم يكن من السهل استيعابه كاملا خلال عصره في الشمال الهولندي ، حيث سيطرة الطراز القوطي (المقحم على الكلاسيكية الأوروبية) ، إلا أن رعاية "فيليب" دوق "بورجاندی" لأعماله في أكثر من موضع وتكليف فني كانت بحق لحظة فارقة لينتقل كاملا من النمط القوطي المتأخر إلى أساليب النهضة ، وينجح في الجمع بين اللغة الرسمية الإيطالية وحساسة أهل الشمال". (Orenstein, 1999. 115).

كان ثمة شعور متنام تجاه فضل الثقافة الكلاسيكية ، وفنون الأساتذة من عصر النهضة الإيطالية ، ورغم أن الطراز القوطي ساد مايربو على أربعة قرون ، إلا أن "هولندا" كانت مهياً تماماً لذلك التحول ، لا سيما مع ظهور جيل من المصورين الناشئين في "أوترخت" توجهوا بكامل رؤاهم و وعيهم نحو أعمال "كارافادجيو" التي كانت في ذروة صعودها خلال القرن السابع عشر، قبل أن يعودوا مشبعين بأسلوبه و معالجاته التشكيلية ، وتصبح أعماله مصدرا متجددا لأبناء المدينة الهولندية.

مدرسة "كارافادجيو" الفنية في فن "أوترخت":

في أوائل القرن السابع عشر الميلادي شهدت مدينة "أوترخت" الهولندية ظهور عدد من الفنانين شكلوا حجر الزاوية في الحركة الفنية في شمال أوروبا ، "هندريك تير بروجين" "Hendrick ter Brugghen" و"جيريت فان هونثورست" "Geritt van Honthorst" و "ديرك فان بابورين" "Dirck van Baburen" ، و غيرهم ، آل هؤلاء الفنانون على أنفسهم نقل أسلوب "كارافادجيو" ليصبح أساسا للفن في مدينتهم "أوترخت" ، (شكل ٢) و(شكل ٣)



(شكل ٣) فان هونثورست- The Procuress - ١٦٢٥م



(شكل ٢) تير بروجين- عازف العود- ١٦٢٨م

كان التيار الواقعي الذي تبناه "كارافادجيو" مثيرا بالنسبة للمتلقى الهولندي ، فالمجتمع الذي كانت الطبقة المتوسطة الصاعدة تشكل ملامح ثقافته في ذلك الوقت وجد في أشكال لاعبي الورق والعازفين والعجر في البيئات البسيطة ما يعبر عن ذوقه وأصوله وميوله ، الثروات التي حققتها هذه الطبقة من خلال التجارة والتوسع الاستعماري في شرق آسيا حفزت نحو تمسكهم بموضوعات الحياة اليومية في المنازل والأسواق وأماكن اللهو الهولندية ، وفي الوقت الذي كان اهتمام المجتمع الهولندي (المنفتح) يتراجع عن التمسك بالموروثات الدينية في المنتج الفني ، كان "كارافادجيو" ذاته يتخلى

عن تلك النماذج والموضوعات اليومية لصالح التصوير الديني الذي اكتسب- أيضا- طابعا جديدا من خلال الشخوصه والمعالجات الواقعية. (Franits, 2004. 65)

بدا الأسلوب القائم على التضاد القوى بين الظل والنور ، أو ما يعرف بالـ "Tenebroso" و الذي تنبأه "كارافاجيو" في مراحل مختلفة خلال مشواره الفني مؤثرا للغاية بالنسبة لهؤلاء الفنانين (شكل ٤) و(شكل ٥) ، هكذا وجد الفنانون في تلك التجارب ما يشبع رغبة جمهور الشمال ، سواءا من حيث الموضوع أو من حيث الأسلوب ، وخلال إقامتهم في "روما" كان واضحا أن هؤلاء الفنانين قد عكفوا على نقل تراث "كارافاجيو" كاملا.



(شكل ٥) كارافاجيو- عازفة العود- ١٥٩٦م



(شكل ٤) كارافاجيو- The Cardsharps - ١٥٩٥م

واقع الأمر أن مدينة "أوترخت" كانت تمثل (وسطا) ثقافيا ملائما لدخول هذه الأساليب والموضوعات غير التقليدية والمبتكرة، بديلا عن الموضوعات الدينية التي بدت مستهلكة ، فهي المدينة الأكثر كاثوليكية في المقاطعات المتحدة ، وهي المدينة التي تضمنت العديد من النبلاء والريفيين مع منازل المدينة هناك ، وهي المركز الرئيسي الثاني ، بعد مدينة "هارلم" ، الذي تبنى منهج "الأسلوبية الفنية" أو ما يعرف اصطلاحا بالـ "Mannerism" في "هولندا" (Gregori, Mina, 1985. Luigi Salerno, and Richard E. Spear, 1985. 112) ، ولم يكن غريبا- على سبيل المثال- أن يغير المصور "أبراهام بلومارت" ، "Abraham Bloemaert" ، الذي كان شخصية بارزة في هذه الحركة ، أسلوبه عدة مرات قبل وفاته عام ١٦٥١م. (Loredana Del Re, 2013. 110)

لعب هؤلاء الفنانون دورا هاما في الحركة الفنية الهولندية من خلال ترك إرث فني متميز متأثرا بإبداعات "كارافاجيو" ، إذ ظهرت أعمال "بيتر بول روبنز" "Peter Paul Rubens" (١٥٧٧- ١٦٤٠م) وتلامذته متأثرة بتوظيف الأجساد البشرية للتعبير

ونقل المعاني والمضامين الرمزية المختلفة، كما بدأ تأثيرهم واضحا على استخدام "رمبرانت" "Rembrandt" لقيم النور والظل في أعماله (شكل ٤) ، كما مهدت أعمالهم لأجيال لاحقة من الفنانين خارج "هولندا" مثل "جورج دو لاتور" "Georges de La Tours" (١٥٩٣- ١٦٥٢م) (شكل ٦) ، وقد يكون تأثيرهم قد امتد للعديد من الفنانين الآخرين في الأراضي الفلمنكية مثل "ثيودور رومبوتس" "Theodoor Rombouts" ، و"جيرارد سيجيرز" "Gerard Seghers" ، و"جان كوسبيرز" "Jan Cossiers" ، و"آدم دي كوستر" "Adam de Coster" ، والذين قضوا معظمهم وقتاً في إيطاليا.



(شكل ٦) جورج دي لاتور- ميلاد الطفل- ١٦٤٠م

في عام ١٦٣٠م شهدت "أوترخت" تراجعاً في مدرسة "كارافادجيو" الفنية ، إذ توفي كبار فنانها مثل "تير بروجين" و"بابورين" ، بينما أثر آخرون تغيير أساليبهم على نحو ما فعل "هونثورست" الذي اتجه للتصوير الفوتوغرافي وتسجيل المشاهد التاريخية التي كانت تسيطر آنذاك على المدرسة الفلمنكية بشكل عام (Janssen, 2021. 23) ، لكن كان ذلك بعد أن تركوا عدداً جديراً بالاعتبار من الأعمال الفنية ، علاوة على أن تأثيرهم الفني من الناحية التقنية والتشكيلية كانت أرست قواعد الفن في مدينتهم التي أصبحت مركزاً هاماً لنشر فنون عصر النهضة الإيطالية في بلاد الشمال ، اليوم... لازالت "أوترخت" تدين بالفضل لـ"كارافادجيو" ومدرسته الفنية ، ليس أدل على ذلك من الحدث الكبير الذي شهدته المدينة في عام ٢٠١٩م من خلال إعادة إحياء ذكراه من خلال عدد من التصاوير الحائطية الهامة.

جداريات "أوترخت" ومدرسة "كارافادجيو" الفنية:

في عام ٢٠١٩م شهدت مدينة "أوترخت" ثلاث جداريات هائلة الحجم في حدث هو الأكثر تفرداً في المدينة الهولندية العريقة، حيث قام المتحف الرئيسي في المدينة بتكليف جماعة "De Strakke Hand" الفنية بتنفيذ هذه التصاوير الجدارية كنوع من أنواع إحياء ذكرى هذه المدرسة الفنية الهامة ، والاعتراف بفضلها في تطور الحركة الفنية في شمال أوروبا.

تتصدر الجدارية الأولى واجهة أحد المنازل الواقعة في شارع "Attleplantsoen" ، المؤدى إلى الطريق السريع ، تعرض الجدارية جزءاً من لوحة "ديرك فان بابورين" بعنوان "عازف العود" و التي تعود لعام ١٦٢٢م ، تبدو اللوحة وكأنها "معالجة تشكيلية معدلة" لعمل "كارافادجيو" المعنون "عازف العود" ، في عمل "بابورين" يطالعنا شاب في ملابس مستوحاة من الأزياء الشعبية الأسبانية آنذاك؛ الصديري ، القبعة ذات الريش ، أكمام القميص الفضفاضة ، مواجهها المشاهد في وضع منظوري مميز، بينما تكشف ملامح وجهه (نظرات عينيه ، فمه المفتوح) عن حالته التعبيرية وكأنه يقوم بأداء أغنية ما ، يلتزم "بابورين" بتوظيف الإضاءة المسلطة على وجه الفتى ، متلاعباً بالظلال الناتجة لخلق حالة درامية جذابة للمتلقى ، في الوقت الذي يبدو فيه مصدر الإضاءة قادماً من خارج التكوين ليستدعى تساؤلاً في ذهن المشاهد حول هذا المصدر، بل و حول الفراغ الذي يجلس فيه هذا الشاب ، (شكل ٧).

في العمل الجداري يبدو اختيار الموضوع ذا دلالة هامة بالنسبة لزائري "أوترخت" ، يبدو العنصر الرئيسي هنا وكأنه يتمدد إلى ما خارج المساحة المعمارية ، القطعات في اليد والذراع والوجه تكسب بطل العمل هيئة مختلفة متناسب مع مفهوم التصوير المعاصر ، وكأن العمل التراثي هنا يتحول إلى ما يشبه "الإعلان" الذي يتصدر الواجهات ، في إطلالة

مرحة ، ودود ، على جمهور الزائرين ، الآلة الموسيقية هنا تمنح المشاهد شعورا مضاعفا بالتراث الثقافي والفني المتأصل في المدينة العريقة ، في حين تصنع ألوان العمل (الأحمر والوردي ودرجات الرمادي) إيقاعا متوازنا وتألفا بصريا مع العناصر المعمارية ، بحيث لا تبدو اللوحة هنا مجرد لوحة تراثية يرجع عمرها لثلاثة قرون سابقة ، بل- عوضا عن ذلك- تظهر وكأنها جزء من النسيج المجتمعي المعاصر للمدينة ، (شكل ٨).



(شكل ٨) جدارية "عازف العود" بمدينة "أوترخت"- تنفيذ De Strakke Hand



(شكل ٧) ديرك فان بابورين- عازف العود- ١٦٢٢م

شهدت "هولندا" منذ القرن الخامس عشر الميلادي أحداث الصراع الدائر بين المذهبين الكاثوليك والبروتستانتى ، وشكل الهولنديون بؤرة الثورة ضد السيطرة الأسبانية ، وفي أواخر القرن السادس عشر الميلادي استطاعت "هولندا" بعد سلسلة من النزاعات والصراعات أن تحقق استقلالها (Jacobs, 2009. 23) ، لم تمتد السنوات بالمصور "تير بروجين" حتى يشهد انتصار بلاده وانتزاع استقلالها، رغم ذلك فمن بين العديد من اللوحات التي أنجزها عن الحياة اليومية تظل لوحته "مارس النائم" ١٦٢٩م حالة متفردة بين إنتاجه الفني.

من قلب الأساطير الرومانية يستدعي "تير بروجين" شخصية "مارس" ، إله الحرب ، مكسب إياه ملامح أكثر واقعية وألفة للمجتمع الهولندي ، في درعه الحديدي ، وخوذته يتكىء على ذراعه اليمنى ، وكأنه ينال غفوة أو قسطا من راحة ، بينما لازالت يده الأخرى قابضة على سيفه فى شيء من التأهب ، هنا تبدو الشخصية الأسطورية معادلا للنضال الهولندي فى سبيل نيل الاستقلال ، القتال الذى استغرق "هولندا" على مدار ثمانين عاما يبدو موضوعا مثيرا لـ"تير بروجين" ، لمسات الضوء القوية المنعكسة على الزى المعدنى والوجه واليدين تكشف عن التوظيف الديناميكي لقيم النور والظل المستمد من أسلوب "كارفادجيو" ، (شكل ٩).

فى الطريق إلى محطة "أوترخت" الرئيسية ، و على واجهة مبنى تكون أبعادها شكلا هندسيا غير تقليدى ، ترتفع جدارية "مارس النائم" ، مانحة العابرين إحساسا بالراحة ، مع إعطاء الفرصة لاستعادة الذكريات المتعلقة بالنضال الوطنى من ناحية ، واجترار التراث الكلاسيكى القادم من "إيطاليا" ، مركز الإشعاع الثقافى ، وبؤرة الصراعات السياسية و المذهبية خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر ، هنالك يبدو السجل التاريخى لأوروبا وكأنه يعاد صياغته فى لغة بصرية لها جاذبية خاصة وتأثير متفرد على أبناء "أوترخت" المعاصرين ، (شكل ١٠).



(شكل ١٠) جدارية "مارس النائم" بمدينة "أوترخت".

تنفيذ De Strakke Hand



(شكل ٩) هندريك تير بروجين- مارس النائم- ١٦٢٩م

يدين المصور والمصمم "أبراهام بلومارت" بنشأته إلى مدينة "أوترخت" التي شهدت انتقال أبيه وعائلته إليها منذ عام ١٥٧٥م ، وذلك على الرغم من قضاائه فترة تتلمذه في "فرنسا" ، وذلك بين عامي ١٥٨١م و١٥٨٣م ، وتمضيته ثلاث سنوات أخرى في أمستردام مرافقا لأبيه ، قبل أن يستقر في "أوترخت" حتى نهاية حياته مؤسسا رابطة "الرسامين الجدد" (Bolton, 2009. 176) ، وقد تميز "بلومارت" في تصوير المشاهد التاريخية ، والطبيعة الريفية بمنزلها البسيطة ومشاهد الرعاة فيها ، علاوة على تصويره العديد من الشخوص الدينية والأسطورية ، ولكنه- مثل العديد من معاصريه- جذبته النماذج البشرية للعازفين في أعمال "كارافاجيو"، فجاءت سلسلة من أعماله تسجل شخصية "عازف الفلوت" ، من بينها عمله المؤرخ بعام ١٦٢١م.

تلاعب "بلومارت" بالإضاءة الآتية من خارج التكوين لتمنح العمل إحساسا بدفع المشهد ، وذلك على الرغم من إحساس المشاهد بشيء من العزلة والغموض يكتنف شخصية الشاب العازف ، الذي يبدو في اللحظة متخليا عن عزفه لبرهة ، أو مانحا نفسه بعض الراحة ، في الجانب الأيسر يظهر جزء من قدر أو أنية في قطع غير تقليدي مميز لمنهج الـ "Mannerism" الذي ظهر في أواخر عصر النهضة الإيطالية ، (شكل ١١).

بارتفاع ثلاثة وثلاثين مترا تنتصب جدارية "عازف الفلوت" كأعلى لوحة جدارية في مدينة "أوترخت" ، تعرض الجدارية نفس النموذج البشري لعازف الفلوت ، هنا تبدو رؤية العمل متنسقة مع المحيط البيئي ، حيث تبدو الإضاءة الطبيعية كأنها جزء لا يتجزأ من العمل ، الألوان الدافئة لملاص العازف تتناغم مع الشمس الساطعة ، في حين تكون المناطق المضيئة في ملامح الوجه حالة من التجاوب مع الطبيعة ، مع مسحة من الهدوء تضيئ شاعرية تتلائم و طبيعة المكان ، (شكل ١٢).



(شكل ١٢) جدارية "لاعب الفلوت" بمدينة "أوترخت"-
تنفيذ De Strakke Hand



(شكل ١١) أبراهام بلومارت- عازف الفلوت- ١٦٢١م

مستخلص البحث:

تعد جداريات "أوترخت" تجربة متفردة في الفن المعاصر تقوم على إحياء التراث الكلاسيكي ، فمن خلال ميراث فني كبير للفنان "كارافادجيو" الذي ترك بصمته على فنانى الشمال انطلق فنانون مدينة "أوترخت" يبدعون على المسطحات الحائطية في مدينتهم ، اختار الفنانون نماذج تعبر عن شخصية مدينتهم في مرحلة هامة من التاريخ الهولندي ، و قد تجاوز ما قدموه البعد التزييني للفن ، هنا يصبح التصوير الجدارى مشروعاً توعوياً بالتاريخ و الثقافة ، يؤرخ للتحوّل الفنى الذى طال فن التصوير خلال القرن السابع عشر ، يستدعى رموزاً تتعلق بالحرب من أجل الاستقلال ، تتم صياغة كل ذلك من خلال قيم تشكيلية تتوافق بصرياً مع المحيط العمرانى للمدينة.

كما تثبت جداريات "أوترخت" أن التصوير الجدارى مجالاً خصباً قادراً على استيعاب الموروثات ، وإعادة طرحها لعامة الجمهور فى محاولة لربطه بجذوره وهويته وتاريخه ، وذلك علاوة على عدد من التجارب المعاصرة الأخرى التى تذخر بها المدينة ، فيما يؤكد- إجمالاً- أن التصاوير الجدارية هى حقل واسع لاستيعاب القيم البصرية والثقافية المختلفة ، والتيارات الفنية المتباينة ، و يعطى نموذجاً لنا حول إمكانية توظيف التراث بشكل مماثل فى التصوير الجدارى المعاصر ، حيث تذخر مصر بتراث فنى تصويرى متفرد سواء فى العصور القديمة أو فى فنون جيل الرواد وتلامذتهم فى العصر الحديث ، و ذلك إلى جانب وجود التصميمات والتجارب الفنية الحديثة التى تكشف عن هوية الفن المعاصر فى مصر.

نتائج البحث:

أولاً : الوقوف على الشخصية الفنية لمدينة "أوترخت" الهولندية ، وإيضاح أثر "كارافادجيو" على تشكيل ملامحها الفنية على مدار عشر سنوات.

ثانياً : استخلاص السمات الفنية التشكيلية فى أعمال فنانى "أوترخت" من خلال تأثيرهم بقيم النور والظل ، والموضوعات ذات الصبغة الواقعية التى ركز عليها "كارافادجيو".

ثالثاً : إيجاد العلاقة بين التصوير الهولندى والأحداث التاريخية والسياسية التى مرت بها أوروبا آنذاك خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر

رابعاً : تحليل نماذج من التصوير الجدارى المعاصر فى مدينة "أوترخت" فى ضوء تأثيرها بمدرسة "كارافادجيو" الفنية ، علاوة على تحليل علاقتها بالمحيط البيئى و الثقافة المجتمعية.

خامسا : إمكانية الاستفادة من تجربة مدينة "أوترخت" فى الأعمال الجدارية المصرية المعاصرة ، بحيث تصبح تجسيدا لمراحل تطور الفن المصرى ، تعمل على رفع الوعى الثقافى و الفنى لجمهور المتلقين.

التوصيات:

من خلال ما تم استعراضه فى البحث يوصى الباحث بما يلى :

أولا : الاستزادة من البحث فى مجال تاريخ الفنون المختلفة ، مع التأكيد على قيمة تحليل الأعمال الفنية فى المدارس الأوروبية الغربية ، باعتبارها النموذج الذى أسس لوجود الفنون الحديثة فى العالم.

ثانيا : تتبع الأعمال الفنية المعاصرة فى مجال التصوير الجدارى ذات الصلة بالفنون والأساليب التراثية والكلاسيكية.

ثالثا : إجراء الدراسات المقارنة بين المدارس الفنية المختلفة فى سبيل الوقوف على أهم التطورات التى نمت على مدار الحقب المختلفة ودورها فى دفع مسيرة العملية الإبداعية.

رابعا : وضع خطة بإشراف أكاديميين فى سبيل تنفيذ تجارب فنية مشابهة تقدم التراث والإبداعات أجيال من الفنانين للمجتمع المصرى المعاصر ، بما يحقق زيادة فى الوعى و الحس الفنى ، ويزيد من قيمة الانتماء و الإحساس بقيمة الهوية المصرية.

مصادر البحث:

- Bolton, Roy. The Collectors : Old Master Paintings. London, Sphinx Books. 2009.
- Gregori, Mina, Luigi Salerno, and Richard E. Spear. The Age of Caravaggio. Metropolitan Museum of Art, 1985.
- Franits, Wayne. Dutch Seventeenth-Century Genre Painting. Yale UP. 2004.
- Jacobs, Jaap. The Colony of New Netherland: A Dutch Settlement in Seventeenth-Century America (2nd ed. 2009).
- Janssen, Paul Huys. Utrecht Caravaggisti. Grove Art Press. 2021.
- Loredana Del Re, Sonia. Re-forming Images: Utrecht, Caravaggio, and the Body. McGill University. Montreal October 2013
- Orenstein, Nadine M. "Gossart and Printmaking." In Ainsworth, Man, Myth, and Sensual Pleasures, 1999.

١ - شهد تاريخ "إيطاليا" منذ عام ١٥٥٩م مرحلة جديدة من وقوع البلاد تحت السيطرة الأجنبية ، وذلك فى ظل تنامى السباق السياسى والاستعمارى بين "فرنسا" و"اسبانيا" ، وبحلول ذلك العام تم توقيع اتفاقية ترتب عليها خضوع "إيطاليا" بالكامل للوجود والحكم الأسباني.